

أثر الشكل البلاغي في بناء المعنى الشعري، ظاهرة التقديم والتأخير أنموذجا، دراسة في ضوء نظرية النظم

The effect of the rhetorical form in constructing poetic meaning, the phenomenon of introduction and delay as a model, a study in the light of systems theory

سعيداني عبد القادر*

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، Saidaniaek2021@gmail.com

مخبر الدراسات اللغوية والنقدية-كلية الآداب واللغات جامعة علي لونيس ي البلدية 2

أ.د/ قدار عبد القادر

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، a.keddar@univ-dbkm.dz

تاريخ الوصول 2021/06/28 تاريخ القبول 2022/01/21 تاريخ النشر 2022/03/31

ملخص:

تمثل نظرية النظم كمصطلح نقدي بلاغي مكسبا لسانيا عربيا عريقا، استطاع الأقدمون الوصول إلى تحقيقه قصد معرفة حركة بنيات التراكيب واصطفافها ومدى فاعلية العلاقة الوظيفية بين عناصرها، وكذا رصد حركة المعاني الناتجة، كما تعد أيضا آلية تفسيرية للمتكلم يستطيع من خلالها الوصول إلى معرفة عقلية ممكنة تمده بمهارة التحكم في القول وصياغة الكلام على النحو الذي يشاء، دون حصول إخلال أو تجاوز لقوانين المعنى، لكن هذا المفهوم السائد عند القدماء والذي يتعامل مع النص بخصائصه الكلاسيكية، قد اصطدم بواقع تغير حدث في شكل وبناء وخصائص النص وطريقة الدراسة، وهنا تتجلى أهمية البحث من خلال محاولة عملية الإسقاط وإمكانية توليد كم دلالي فياض ورفع اللبس وذلك بالتساؤل الذي مفاده هل بقي مفهوم نظرية النظم وتطبيقه مستمر في بناء النص الشعري الحديث؟

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم؛ التقديم والتأخير؛ النص.

Abstract:

Systems theory - as a critical rhetorical term - represents an ancient Arabic linguistic mixture, which the ancients were able to achieve in order to know the movement of structures, their alignment and the effectiveness of the functional relationship between their elements, as well as monitoring the movement of the resulting meanings. It is possible to provide him with the skill of controlling speech and formulating speech as he wants without breaching or transgressing the laws of meaning. The attempt of the projection process and the possibility of generating a semantic quantity Fayyad and raising the confusion by the question that is: Is the concept of systems theory and its application continued in the construction of the modern poetic text?

keywords: systems theory, introduction and delay, text.

1. مقدمة:

إذا أردنا نصا إبداعيا في مستوى الكمال اللغوي، متصفا بقيمة أدبية يستجلب أقلام النقاد، وألسنة القراء، وتكون له خاصية الانتشار والتداول، لابد لناظمه أن يكون بارعا في التخيير اللفظي للتركيب اللغوية وأن يضبط الموضوع الملائم لتلك الألفاظ والتركيب في الجملة والفقرة والنص، حتى يؤدي كل شكل من الأشكال اللغوية معناه ودلالته بقوة ووضوح ودقة وجمالية، وقد تحدث صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني عن المعاني والدلالات المستفادة من التركيب المتنوعة وكشف عن بعض أغراضها وأسرارها.

ومن هذه التركيب والأشكال اللغوية ما يتعلق بقضية التقديم والتأخير والذي أولاه الجرجاني عناية نوعية في إطار أركان نظرية النظم وهذا ما سنبينه في موضعه الممنهج له لاحقا.

ولعل النص الشعري الجديد الذي هو مناط الدراسة في هذه الجولة المقالية ينزع إلى بعض الشذرات التراثية وفق نظرية النظم الجرجانية خاصة فيما يتعلق بالتقديم والتأخير، رغم خصوصية هذا النص القائم على اعتبار القوالب اللغوية وقواعدها أحد قيود الإبداع.

وبناء على ذكر يمكن التساؤل ما مدى مطابقة وحضور نظرية النظم في الشعر الحديث، وهل استفادا " محمد الصالح باوية" من نظرية النظم القديمة رغم التباين الواضح بين بنية ومضامين الشعر القديم والحديث. ومنه إذا سلمنا بفرضية تطبيق نظرية النظم العربية في الشعر الحديث، كيف يمكن تصور الدلالات الناتجة من منطلق التقديم والتأخير وفق البناء البلاغي؟

2. مفهوم الجملة:

التركيب هو معادلة متوازنة الطرفين في بعده الطبيعي العادي المؤلف ضمن إطار اللغة العربية، حيث اتفق النحاة أن الجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الاسمية تتكون من طرفين أساسيين المسند والمسند إليه، ولكل طرف وظيفة إسنادية داخل التركيب، وهذا الترتيب لأطراف التركيب وعناصره ووحداته هو الترتيب الذي تواضع عليه النحاة واعتمدوه، أما تحديد مواقع الكلمات داخل التركيب فيعود لعامل الإعراب ذي الأهمية القصوى في هذا العمل.

1.2 . مفهوم الجملة:

1/ لغة:

يقول ابن منظور (ت 711هـ) "من الجمل الجماعة من الناس بضم الميم، ويقال جمل الشيء جمعه وقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة، والجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء وأجمل جمعه عند تفرقه والجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب، ويقال أجملت له الحساب والكلام".¹

وقد اقتصر على مفهوم ابن منظور وضربت صفحا عن تعريفات أخرى يدور معناها في فلك الضم والجمع والشمول.

2. مفهومها اصطلاحاً:

أ- عند علماء النحو القدامى: من خلال الإطلاع على مصادرهم يبدو أن مفهوم الجملة عندهم لم يكن شاملة ودقيقاً وقد تعددت مصطلحاتهم فمنهم من استخدم مصطلح الكلام مرادفاً لمصطلح الجملة، ومنهم من فرق بينهما، ومن جملة الذين تعرضوا للحديث عن الجملة، سيبويه، المبرد، ابن جني، الزمخشري... الخ، وسأكتفي بالإشارة إلى مفهوم ابن جني (ت 392 هـ) حيث يقول: «أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه اللغويون الجمل»²، نجد بأن ابن جني ومنطوق مفاهيم السابقين عموماً اختلفوا في الجملة فمنهم من جعلها مطابقة للكلام وهناك من فرق بينهما مراعين كلهم اعتبار الشكل والمعنى، فالشكل لا بد للجملة والكلام أن يكون إسناداً بين كلمتين وأن يكون هذا التركيب مفيداً اعتباراً للمعنى.

ب- الجملة عند النحاة المحدثين: تباينت آراء المحدثين حول مصطلح الجملة والأمر عائد إلى اختلاف الانتماء إلى المدارس النحوية واللغوية والمناهج، فمنهم من سار على خط القدامى ومنهم من تأثر بالمدارس الغربية، ومن جملة المختلفين "إبراهيم أنيس"، "براجشتراسر"، "عبد الرحمن أيوب"، "عباس حسن"... وغيرهم كثير وسأكتفي بالإشارة إلى رأي "إبراهيم أنيس" معرفاً للجملة قائلاً: «إن الجملة في أقصر صورها هي: أقل قدر من الكلام، يفيد السامع معناً مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً: من كان معك وقت ارتكابك الجريمة؟، فأجاب: زيد، فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة»³، نلاحظ هنا أن "إبراهيم أنيس" لم يشترط في الجملة الإسناد الذي هو أهم عنصر من عناصر التركيب عند النحاة، وإنما الشرط عنده هو أن يكون لها معنى مفيداً يحسن السكوت عنده، أي المعنى وليس الإسناد.

2.2 تحديد مفاهيم مصطلحات عنوان المقال:

إذا كان الشاعر أو المبدع عموماً تربطه باللغة ثنائية الانجذاب والاستعمال والنفور والتلاعب لأن نوعية الأفكار والمواضيع والأغراض وطبيعة الأشياء إضافة إلى عمق وجوه وذاتية الشاعر الحديث والمعاصر التي تعد منطلق الإبداع كل هذا يفرض نمطية معينة من الاستخدام والتعامل في إطار توليد المعاني والوصول إلى ربط خيط تواصلية نوعي يعطي سلطة أكثر للقارئ، حيث يبدأ نصه حين تنتهي لغة النص الأصلي، لكن كل هذا لا يمكنه بحال مهما تغيرت المعطيات وتحددت الدلالات واستحدثت الدوافع الخروج عن آلة القاعدة الضبطية النحوية، وتراكيبها، ومعانيها، وفنونها، وجمالياتها، وبلاغتها، وهذا على شاكلة نظرية النظم "عبد القادر الجرجاني".

2- مفهوم نظرية النظم:

2-1/ **النظم في اللغة:** جاء في لسان العرب «نظم: النظم التأليف نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْماً ونَظْماً ونَظْمَهُ فانتَظَمَ ونَظَمْتُ اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله ومنه نَظَمْتُ الشعر ونَظَّمْتُهُ ونَظَمَ الأمر على المثل وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنَّظْمُ المنظومُ وصف بالمصدر، والنَّظْمُ: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، ونظام كل أمر ملاكته والجمع أنظمة وأناظيُمُ ونُظُمٌ، والانتظام الاتساق».⁴

2-2/ النظم في الاصطلاح:

ورد في معجم التعريفات: «النظم هو تأليف الكلمات والجمل مرتبات المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعبر دلالاتها ما يقتضيه العقل».⁵

2-3/ أما مفهوم النظم عند " عبد القاهر الجرجاني فهو: «تعليق الكَلِم بعضها ببعض وجعل بعضها سبب بعض»⁶، ويضيف من باب التأكيد أن: «نظم الكلام يُقْتَضَى فيه أثر المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس»⁷، ويشترط في هذا الترتيب والتناسق الطبيعي مراعاة لنظيره في النفس التوافق الذواقة مقررا: «ليس النظم في مجمل الأمر عنده إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها»⁸

ومن خلال التعاريف يتبين أن النظم يُعْنَى بالمعاني بالأساس وليس الألفاظ، فالألفاظ ملزمة على تتبع المعاني من خلال التركيب والسياق، تحقيقا لهدف وضع نظرية النظم، وهو حسن النظم، وتناسق دلالات الألفاظ وتلاقيها وانسجامها على ما يقتضيه العقل من ضبط ونظام وكمال وجمال. وبالتالي توقُّ وذوقٌ للسامع والمتلقي، كما أن مَهْمَّةَ النظم تبدأ من حيث تنتهي مَهْمَّةُ النحو، حيث أن مهمتها فوق البحث عن الخطأ والصواب متجاوزة ذلك إلى حسن التخيير والنظر في وجوه كل باب، فينظر في صور الخبر والأساليب من تخصيص وشرط وتوكيد.

3- **النص الشعري الجديد:** هو النص الشعري الذي تعود بدايات تأسيسه: «إلى بدر شاكر السياب 1962، ونازك الملائكة 2006 مساهمة للتطورات الحاصلة على الساحة الأدبية العالمية، وكذا الواقع المعيش بمختلف أحواله وتحليلاته، ومن ألقاب مدرسة الشعر الحر التي أسسها الشعر الحديث، أو شعر التفعيلة، أو الشعر الرمزي، أو شعر النزعة الاشتراكية، الرمزية الشعبية، ومن سمات هذا الشعر تعدد قافية، ورمز، وصور، وتيارات حديثة، تتبع الاتجاهات النقدية الحديثة، وكذا تشكيل الصور المركبة والإكثار منها، والتركيز على الموضوعات الحديثة مع الاهتمام بالأساطير والرموز بشكل ملحوظ».⁹

ويمكننا القول أيضا أن النص الشعري الجديد «هو ذلك النص الذي أثار فيه الشعراء على النموذج القديم للقصيدة من حيث المحتوى والصياغة وأصروا على أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر ولا شيء سواها»¹⁰.

ويمكن أن نضيف أنّ النص الشعري الجديد هو ذلك النص الشعري الذي يتصف بخصائص وملامح جديدة منها: الانزياح، والغموض، والرمز، والأسطورة.

فالنص الجديد «لا بد له من شكل آخر يتسق مع طبيعة الوضع، فلم يعد الشعر في عصرنا المليء بالاهتزازات والانعطافات السياسية والإيديولوجية... ذات غنائية معزولة تجتر آلامها وانكساراتها الذاتية، بل هو انتقال رؤيوي من الغنائية إلى الدرامية، وانتقال فني من التكثيف اللغوي والصوري إلى الامتداد الأسلوبي لغة وصوراً».¹¹

4- التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير من المواضيع التي تعرض لها النحاة والبلاغيون على حد سواء، وهو من عوامل التغير والإضفاء الجمالي النحوي والبلاغي، يستهدف التراكيب اللغوية والجملة العربية، فيحدث اختلال فوري لترتيبها الأصلي، فيؤخر ما طبعه التقديم ويقدم ما طبعه التأخير لدواع وأسباب تقتضي ذلك، فتزداد الجملة اللغوية على إثره ذوقاً وفناً وجمالاً أي أكثر بلاغة، وبالتالي فهو دلالة على محاولة الدوران في فلك البلاغة والأبلغ، والفصاحة والأفصح، والقدرة العالية على حسن التصرف في الكلام .

مفهوم التقديم والتأخير:

4-1/ التقديم لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور (ت411هـ)، «يقال القدم والقدمة السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، وقدم كاستقدم، تقدم وروى عن أحمد بن يحيى: قدم صدق عند ربهم فالقدم كل ما قدمت من خير».¹² وذكر في معجم الوسيط: «قَدَّمَ فلان قدماً، تقدماً، وقدماً، شَجَّعَ فهو قَدُّومٌ ومقدِّمٌ والقوم قدما وقدوما، سبقهم فصار قدامهم».¹³ وفي التنزيل العزيز قال تعالى: "يقدم قومه يوم القيامة..." سورة هود، الآية: 98. كما عرفه الزمخشري في أساس البلاغة (ت538هـ) قائلا: «يقال تقدمه، وتقدم عليه واستقدم وقدمته وأقدمته، فقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب».¹⁴

4-2/ التأخير لغة:

جاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) ما نصه: «ويقال أخر: جاءوا عن آخرهم، والنهار يخر عن آخر فأخر، والناس يردلون عن آخر فأخر، والسترة مثل آخره الرجل ومضى قدماً وتأخر، أخر وجاء في أخريات الناس وجئت أخيراً وبأخرة».¹⁵

وورد في معجم الوسيط: «أخر: تأخر والشيء جعله بعد موضعه والميعاد أجله تأخر عنه، جاء بعده، وتقهر عنه ولم يصل إليه»¹⁶، نستخلص إيجازاً من مفهوم المعجمين بأن لفظة أخر تعني دلالة الموقع أو الرتبة الواقع في آخر الشيء.

4-3/ مفهوم التقديم والتأخير اصطلاحاً:

ولعل من الأوائل الذين تعرضوا لظاهرة التقديم والتأخير "سبويه" في كتابه في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول فيقول: «فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك قولك: (ضرب زيداً عبد الله) لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً وهو عربي جيد كثير كأهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى وإن كان جميعاً يهماهم ويعنياهم».¹⁷

أما عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز فيذكر ما نصه: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان».¹⁸

5- أغراض التقديم والتأخير:

تحدث الأقدمون عن قضية التقديم والتأخير وذكر بعض أسرار وأغراضه ابتداءً بالنحويين من باب الإشارة إليه وانتهاءً بالبلاغيين الذين أسهبوا في البحث عن أسرارهم وسأكتفي بالحديث عن دور "عبد القاهر الجرجاني" فيه مع إمكانية الإشارة إلى ملاحه في الفكر الحدائثي.

5-1/ أغراضه عند "عبد القادر الجرجاني": تكلم عن أغراضه من خلال: «تعرضه لوجه التقديم وفروقها الدلالية، ومن ذلك كلامه عن التقرير المستفاد من تقديم الاستفهام عن الاسم، كما في قولنا (أأنت فعلت ذاك)، ومنه قوله تعالى: "قالوا أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم» الأنبياء الآية: 62، إذ يقرر الجرجاني أنه لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام، وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان، وقد أشار إلى الفعل في قولهم: {أأنت فعلت هذا} وقال في الجواب {بل فعله كبيرهم هذا} الأنبياء الآية: 63، لو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل. فإن قلت: أو ليس إذا قال: (أفعلت) وهو يريد أيضاً أن يقرّره بأن الفعل كان منه، لا بأنه كان على الجملة؟ فأبي فرق بين الحالين؟ فإنه إذا قال: (أفعلت) وهو يقره بالفعل من غير أن يردّده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أنّ ذلك الفعل كان على الحقيقة، وإذا قال: {أأنت فعلت} كان قدر ردّد الفعل بينه وبين غيره، ولم يكن منه في نفس الفعل تردّد، ولم يكن كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار إليه كما رأيت في الآية».¹⁹

ومما يلاحظ أنّ "الجرجاني" ركز في بيان الغرض على قضية تقديم الاستفهام على الاسم من خلال الآية {أأنت فعلت...} بطريقة التحليل والاستفهام والمقارنة والاستنتاج.

كما نجد أنّ الجرجاني في دلائل الإعجاز مزج النحو بالبلاغة مع تغليب جانب البلاغة لأنه كان بصدد البحث عن أسرار التراكيب القرآنية ومنها التقديم والتأخير، وكان هذا مطابقاً للنهج البلاغي، حيث أكتب أهل البلاغة في دراسة التراكيب على الاهتمام بمخالفة الأصل أو ما يصطلح عليه (العدول عن الأصل)، وبأدق تعبير أسلوبي (الانزياح)، وعلى ذكر المصطلحين الأخيرين ترتسم في أذهاننا بدهاء قضية الدراسات اللغوية الحديثة، فنجد أنّ موضوع التقديم والتأخير المتحدث عنه في المقال يدخل " في نظرية تشومسكي ضمن فكرة التحويل، بل هو من أبرز عناصرها ويسمى (عنصر الرتبة أو الترتيب) وهو أكثر عناصر التحويل وضوحاً لأنّ المتكلم يعتمد إلى تقديم أمور فيما حقه التأخير أو العكس وفقاً لترتيب المعاني في النفس بالبنية العميقة، أما البنية السطحية فتمثل ظاهر الجملة».²⁰

ومنه يتضح لنا أنّ: مضمون التركيب هو البنية العميقة

و

شكل التركيب هو البنية السطحية.

وهذا مطابق بالتام مع جاء به "الجرجاني" إذ يجعل ترتيب الألفاظ على مستوى التركيب وفقاً لترتيب معانيها في الذهن أولاً.

فمفهوم البنية العميقة لا المصطلح الخاص بها كما يقول: محمد حماسة عبد اللطيف: «كان موجوداً في معالجاتهم وقد عبروا عنه بطرق مختلفة كقولهم: (أصله كذا) أو (قياسه كذا) أو (هو على تقدير كذا) أو (تأويله كذا) أو (على نية كذا) إلى آخر هذه العبارات التي كانت تعني شيئاً واحداً وهو أنّ هناك (بنية عميقة) وراء السطح المنطوق».²¹

5-2/ أغراض التقديم والتأخير عند البلاغيين

" تقدم المسند إليه : 1/ إذا كانت العناية موجهة للمسند إليه لأهميته يختار تقديمه ليكون محط الاهتمام ولغرض التشويق.

ومما ورد في تقديم المسند إليه لغرض تشويق المخاطب إلى معرفته قول الشاعر

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من الجماد

[الخفيف]

2- تخصيص المسند إليه إثباتاً وتأكيد نسبة الخبر إليه دون غيره، مما قد يتهمة السامع، ومنه قول المتنبي

مثلك يشني العزم عن صوابه ويسترد الدمع عن غربه

[السريع]

فالشاعر أراد أن يخصص المراثي بهذه المزية من الصبر والتجلد، ليواسيه في مصابه فيصفه بأنه قادر على رد الحزن، وتحويل الدمع عن مجراه وقد جاء المسند إليه هنا بلفظ (مثل)، وقد يكون تخصيص المسند إليه نفيًا.

3- تعجيل المسرة كقولنا: (النجاح كان نتيجة عملك) فالبدء بلفظ المسند إليه جاء لغرض تعجيل المسرة في نفس السامع، ثم يأتي الإخبار عنه مما يبني عليه من الكلام.

4- تعجيل المساءة كقولنا : (العقوبة كانت مصير (المتهم)، فلفظ المسند إليه تضمن ما يعجل المساءة للسامع".²²

وهناك أغراض أخرى تتعلق بتقديم المسند وما ينتج عنه من أغراض « كقصر المسند إليه على المسند وما فيه من التخصيص والتأكيد، وكذا تقديم متعلقات الإسناد ولاسيما المفعول إنما يكون لأغراض بلاغية ومعاني يدل عليها السياق، ومن تقديم متعلقات الإسناد، ما يكون من تقديم الجار والمجرور ففي قوله تعالى [وأرسلناك للناس رسولاً] قدمه ولام الاستغراق، مريداً به قصر قلب، لزعم اليهود أن بعثته (ص) اختصت بالعرب. »²³

6- دراسة إحصائية تحليلية:

من خلال تناول النص الشعري الموسوم بـ " ساعة الصفر " بالدراسة قصد رصد عدد ما احتوت عليه هذه القصيدة من صور التقديم والتأخير، تم التوصل إلى إحصاء ثمانية نماذج وبالنظر إلى طبيعة النص الذي احتوى على مائة وعشرة بيتاً (110) يتبين أن الشاعر قد أجهد نفسه بقوة على استعمال هذه النماذج مع قلتها في التعبير عن معاني دقيقة جداً استدعت منه تفكيراً عميقاً في كيفية توظيف هذا الشكل من التقديم والتأخير، ولمعرفة أكثر أحوال حقيقة هذا الاستخدام نتفحص هذه النماذج على النحو الآتي:

1- تقديم الفاعل على الفعل:

ورد هذه النموذج مرة واحدة في القصيدة كلها، وقد عبّر به الشاعر في قوله:
وإذا البارود عريد...²⁴

وقد أراد به الشاعر من خلال استعماله إلى ضرورة الإخبار عن المعنى المتعلق بكونه اللغة الوحيدة التي يفهمها الجبارة وهو دليل قوي يؤكد على رسالة مفادها المواجهة والصراع والمقاومة التي تعتبر الكابوس المرعب الذي سعى المستعمر الفرنسي لإخماده والقضاء عليه طيلة سنين من دخوله أرض الوطن، والذي نرجحه من خلال هذا الاستعمال الأحادي لهذا النموذج هو مركزية هذه الرسالة الكلية التي لا تقبل التجزؤ بحال، وإنما تقتضي العزم، وسرعة التنجيز والتنفيذ من خلال الالتفاف عليها كمطلب واحد لا يقبل الجدل ولا الإكثار من الكلام والأخذ والرد، كما أن «تقديم الفاعل (الاسم) دليل على الثبات هذه القضية».²⁵

2- تقديم الجار والمجرور:

استخدم الشاعر هذا النوع من التقديم مرتين في نصه الشعري كله، والذي يبينه قوله في الأبيات الآتية:

في الذرى، في الطفل، في كوخ الصديقة

في رفاقي حفر الفجر طريقه²⁶

وفي قوله أيضاً:

في ترابي أيها النجم الصديق

قد صحا الكنز البطولي الغريق²⁷

من مقاصد تقديم الجار والمجور الدلالية «التأكيد، والتحديد، والتفصيل المؤكد للمعنى».²⁸

ما يعني أنّ أغراض هذا الصنف من التقديم تركز على عملية إبراز جملة من قضايا المعنى منها: محاولة التأكيد عليه من خلال استحضاره في بناء لفظي يسبق الكلام ويتبدئ به مع التحديد الذي يقصد به التخصيص والتعيين من خلال إحاطة هذا المعنى بجملة من الإشارات لفصله عن غيره، زيادة على التفصيل الذي يعني به إبراز جواهره، وقد أراد الشاعر باستخدامه لتقديم الجار والمجور في النموذج الأول على الفعل تحقيق فكرة عمق التحدي، حيث شبه الشاعر الفجر بالإنسان الذي يحفر الطريق فحذف المشبه "الإنسان" وصرح بالمشبه به "حفر الطريق" على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث يعد هذا المعنى البلاغي عمقا دلاليا أكدّه الشاعر هذا التقديم، أما النموذج الثاني من هذا التقديم الوارد في قوله:

في ترابي أيها النجم الصديق

قد صحا الكنز البطولي الغريق.

فقد خصص تقديم الجار والمجور المتمثل في "في ترابي" للدلالة على معنى الحرية المتعلقة بوطنه الذي أشار إليه بكلمة "ترابي" التي منحها أولوية الابتداء في الكلام.

3- تقديم المفعول به:

احتوى نص الشاعر على صنف واحد فقط من تقديم المفعول به على الفاعل كما يبينه قوله:

فيرى الدنيا جزائر²⁹

حيث أنّه عمّد إلى تقديم المفعول به "بياناً لأهمية المعنى"،³⁰ الذي يقتضيه وجلياً لاهتمام القارئ وحصر تفكيره في معرفة وتلمس هذا المعنى الذي حصر الدنيا، وقصرها في الجزائر تشديداً منه على بيان قضية الوطن وقيّمته كقيمة الدنيا.

4- تقديم المفعول فيه:

المفعول فيه «هو اسم ينتصب على تقدير "في" يذكر لبيان زمن الفعل أو مكانه ويسمى ظرفاً»³¹، وقد اقتصر استعماله في موضعين فقط تمثل في قوله:

لم يعد يوماً بما سحر الأساطير العريقة.

ويظهر من خلال تقديم المفعول فيه المتعلق بظرف الزمان قصر دلالة الزمن الحالي وعدم ارتباطه بتلك الأساطير البطولية التي عهدتها المنطقة سالفاً، محاولاً بذلك استرجاع تلك الأبحار، وحث العنصر الجزائري على استرجاع تلك البطولات.

أما الموضوع التالي من المفعول فيه فقد تعلق بذكر الزمن في قوله:

سَاعَةُ الصُّبْرِ انْطِلَاقَاتُ مَشَاعِرٍ³²

ويظهر من خلال هذا التقديم الإشارة الصريحة إلى غرض مفاده بيان ميلاد الجزائر الحقيقي ليلة أول نوفمبر كمبدأ فصل للخطاب الذين يطابق قول الشاعر:

السيف أصدق أبناء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

5- تقديم المبتدأ على الخبر وجوباً

قدم الشاعر المبتدأ على الخبر وجوباً في نصه الشعري في موضع واحد فقط من قوله:

نَحْنُ نَهْدِيكَ فَوْسًا وَحَقُولًا³³

حيث: ذكر المبتدأ "نحن" في أول الكلام مفصلاً بالفعل الذي جاء بعده «للتعبير عن مقصد أخضعه لقانون تأليف الكلام، وقواعد ترتيب الكلمات في التركيب بناءً على ما جرى به عرف اللغة، وغرضه الذي يريد إبرازه».

34

إذ يبين تقديم المبدأ وجوباً لفت الانتباه وجلبه للتأكيد على دلالة الدور الذاتي الذي أشار إليه الشاعر "نحن نهديك فؤوساً وحقولاً"، وفكرة المشاركة في صنع الحدث، أي أنّ تحرير الوطن يبدأ فعله من قبلنا كأول عمل.

6- تقديم الضمير المتصل على المنفصل:

أورد الشاعر هذا الصنف من التقديم في موضع واحد من قوله:

هَـذِهِ أَرْضِي أَنَا

والذي يتمثل في تقديم الضمير المتصل "الياء" في كلمة "أرضي" على الضمير المنفصل "أنا" مبيّناً به دلالة التأكيد على ملكية أرض الوطن وانتمائه لها من خلال هذا التقديم والربط المباشر بين صنفين من الضمائر.

4. خاتمة:

من خلال ما تم دراسته في هذا النص الشعري الذي تناول الحديث عن قضية الثورة الجزائرية انطلاقاً من لحظة اشتعالها، وما تخللها من أحداث عالجها بفكرة حديثة تشكلت في نمط بنائي حدائي للقصيدة وفق بنية تركيبية استعمل فيها أدوات نظرية النظم من التقديم والتأخير، وانطلاقاً من هذا يتبين أنّ الشاعر قد:

1- تمكن من توظيف وتجسيد نظرية النظم في شكلها المتعلق بالتقديم والتأخير في النص الشعري الحدائي بكّل أبعادها ممّا أعطى نتائج دلالية ذات قيمة.

- 2- التمكن من التعبير بالتقديم والتأخير عن أغراض دلالية تتعلق بالثورة.
 - 3- استخدامه لصور التقديم والتأخير في بيان علاقة العنصر الجزائري بأرضه، وصلته التاريخية الوثيقة بها.
 - 4- تمكنه من خلال بعض أصناف التقديم من الإخبار عن أولوية قضية الثورة ضد المستعمر.
 - 5- إجماع استعمال أصناف التقديم والتأخير على مناقشة قضايا الثورة والتعبير عن فكرة الهوية، والتوجه نحو مستقبل الجزائر انطلاقاً من استحضار صور الماضي، وربطها بالحاضر في أساليب الحصر والقصر الذي احتوته بعض هذه الأصناف المستعملة.
 - 6- المشاركة اللغوية للتقديم والتأخير في بناء المحتوى الدلالي الدقيق للنص الشعري.
 - 7- تطور وانتشار النظريات اللغوية الحديثة لم يجد من فعالية نظريات القدماء، بل أكد صحتها وحيويتها وصلاحياتها للتطبيق والتعامل مع النصوص ومختلف الأجناس المعاصرة.
- وانطلاقاً من هاته النتائج المحصّل عليها بفعل استخدام أصناف التقديم والتأخير نرى من الضرورة بما كان أن يتم تحيين نظرية التّظّم، وتفعيلها في بناء النص الشعري الحديث والمعاصر، قصد تحصيل بنية نصية شعرية فنية، تستجيب لمتطلبات السّمة الجمالية، والفعل التأثيري الغائي للمتلقّي وإحداث نوع من الإقناع في ذات القارئ تحركه مهارة التّحكّم المتقن في تطبيق معالم هذه النظرية.
- 5- الهوامش:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت، حرف الجيم، دت، ط1، ص501-503.
- ² ابن جني، الخصائص، تح: علي محمد النجار، دار الكتب، بيروت، ط3، 1993، ج1، ص26.
- ³ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1975، ص277.
- ⁴ ابن منظور، لسان العرب، تح: محمد الصادق العبيدي، وأمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، "ن ظ م".
- ⁵ الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ط1، ص203.
- ⁶ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998، ص15.
- ⁷ المصدر نفسه، ص51.
- ⁸ المصدر نفسه، ص70.
- ⁹ ينظر: في الأدب الحديث ونقده عرض وتوثيق وتطبيق، عماد علي سليم الخطيب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ، 2009، ص67.
- ¹⁰ جماليات القصيدة المعاصرة، طه وادي، دار لوبار، القاهرة، ط1، 2000، ص07.
- ¹¹ شعرية القصيدة النثرية الجزائرية، عبد الحميد شكيل أنموذجاً، نهاد مسعي، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2013، ص80.
- ¹² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، ص47 (مادة قدم).
- ¹³ إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، ص08.
- ¹⁴ الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، دت، 2005، ص667، (مادة قدم).
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص36. (مادة آخر).
- ¹⁶ إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، ص08.
- ¹⁷ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص34.

- ¹⁸ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1978، ص106.
- ¹⁹ عبد العليم بوفتاح، التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 131-132.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص132.
- ²¹ عبد العليم بوفتاح، التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، ص132.
- ²² عبد العليم بوفتاح، التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، ص 133-136.
- ²³ المصدر نفسه، ص 136، 144، 146.
- ²⁴ محمد الصالح باويه، ديوان أغنيات نضالية، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2008، ص50.
- ²⁵ ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، بلاغة النظم القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 85.
- ²⁶ محمد الصالح باويه، ديوان أغنيات نضالية، ص 50.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص 53.
- ²⁸ فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط2، 2018، ص221.
- ²⁹ محمد الصالح باويه، ديوان أغنيات نضالية، ص52.
- ³⁰ ينظر: أبو يعقوب، السكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص1994.
- ³¹ مصطفى الغلايني، جامع الدروس العربية، دار الهدى، الجزائر، دط، 2013، ج2، ص 448.
- ³² محمد الصالح باويه، ديوان أغنيات نضالية، ص52.
- ³³ المصدر نفسه، ص 54.
- ³⁴ ينظر: الرتبة في الجملة العربية المعاصرة، دراسة تركيبية تحليلية، رحاب علاونة رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، 1995، ص33.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1975.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.
3. أبو يعقوب، السكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
4. بسيوني عبد الفتاح فيود، بلاغة النظم القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
5. جماليات القصيدة المعاصرة، طه وادي، دار لوبار، القاهرة، ط1، 2000.
6. ابن جني، الخصائص، تح: علي محمد النجار، دار الكتب، بيروت، ط3، 1993، ج1.
7. الرتبة في الجملة العربية المعاصرة، دراسة تركيبية تحليلية، رحاب علاونة رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، 1995.
8. الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2005، (مادة قدم).
9. سيويو، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.
10. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، دط.
11. شعرية القصيدة الشرية الجزائرية، عبد الحميد شكيل أنموذجا، نهاد مسعي، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2013.
12. عبد العليم بوفتاح، التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.

13. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998.
14. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1978.
15. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط2، 2018.
16. في الأدب الحديث ونقده عرض وتوثيق وتطبيق، عماد علي سليم الخطيب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ، 2009.
17. محمد الصالح باويه، ديوان أغنيات نضالية، موفم للنشر، دط، الجزائر ، 2008.
18. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الهدى، الجزائر، دط، 2013، ج2.
19. ابن منظور، لسان العرب، تح: محمد الصادق العبيدي، وأمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
20. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م.